مقدمة لرحلتيْ أبـي دُلَف
مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبوعيّ
حوالي ٩٤٢- ٩٥٢م

شاكر لعيبي*

نعـرف لأبـي دلـف رحلتيـن اثنتيـن، أو رسـالتين، الرسـالة الأولى والرسالة الثانية. لم يُنشرا أبداً في كتابٍ واحد يضمّهما كليهما.

الرسالة الأولى:

وهـي رحلـة إلـى الصيـن والهنـد. حُققـتْ ونُشـرتْ باللغـة العربية مرّتين: المرّة الأولى في كتاب عنوانه «تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيـق» لمُؤلِّفَيْـهِ الدكتـور فهمـي سـعد والدكتور طـلال مجذوب، عـن عالم الكتـب، بيروت عـام ١٩٩٣م، اعتماداً علـى المجموع الذي نشـره فؤاد سـزكين مصوّراً عن مخطوط مشهد الشـهير المرقم ٥٢٢٩، وتتألف من ١٦ صفحة (من ٣٤٧-٣٦٢). تتضمّن الصفحة تسـعة عشر سـطراً بالخط النسـخيّ. إعتمد المحققان على مـا نقله ياقوت الحموي مع اختلافات يسـيرة يشـيران إليها في هوامشـهما التي نبقيها في طبعتنا الحالية للأمانة العلمية، مع الإشارة بالرمز (عط١ = عن الطبعة١).

والنشـرة الثانية للرسـالة الأولى قام بها مريزن سـعيد مريزن عسيري تحت عنوان «الرسـالة الأولى لأبي دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي: دراسة وتحقيق»، صدرت عام ١٩٩٥م عن جامعة أم القرى في المملكة العربية السـعودية. وهو تحقيق جادٌّ أيضاً إلى حدّ كبير، رغم أن المحقّق يذكـر فـي هامش وضعه في مقدمتـه أنْ لا أحدَ قبله قام بتحقيقها سـوى المستشـرق شلاوتزير Schloezert في برلين عام ١٨٤٥ نقلاً عن إحدى

النسخ المخطوطة لعجائب المخلوقات للقزويني. والأمر يفتقد إلى الدقة، لسببين: الأول أن المحقق لا يحيل بالفعل إلى طبعة الألماني شلاوتزير[١] النادرة اليوم ويكتب اسمه بطريقة خاصة مضيفاً له الحرف (t). في جل ملاحظات السيد مريزن وهوامشه، كما سيلاحظ القارئ، لا توجد إحالة أو استشهاد بهذه الطبعة القديمة. والآخر أن طبعة دار الكتب العربية عام ١٩٩٣م تسبق تحقيق مريزن المؤرخ بعام ١٩٩٥م بسنتين كاملتين في الأقل. يقول الباحث نفسه إنه استند بدوره على مجموعة مشهد المذكورة أعلاه. وإذا كان الباحث الكريم مريزن يعود في عمله، مثل مثله الدكتورين المصريين سالفي الذكر، إلى ياقوت، فإنه يشكّك في اعتماد ياقوت على نسخة مشهد ويظن أن ياقوتَ استند إلى نسخة أخرى، وهي فرضيّة ندعمها نحن في عملنا الحالي أيضاً لكننا لا نستطيع التثبُّت منها. على الرغم من أن العديد من هوامش وملاحظات هذه الطبعة هي مقاربات مع نص ياقوت المتوفر تحت أيدينا وبإمكاننا نحن أنفسنا العودة إليها، لكننا نعود إلى هوامش مريزين بشأنها تحت الإشارة (مز = مريزين)

استخدم كراتشكوفسكي مخطوط مشهد وتوصّل إلى أن جزءاً كبيراً من معلومات ياقوت عن القوقاز مقتبسَة أو مستعارَة من "الرسالة الثانية" لأبي دلف. وقد مكّن ذلك كراتشكوفسكي من الفهم الواضح للأماكن الصعبة الغامضة في نص ياقوت، وبالتالي مكّنه من تصحيح الترجمات السابقة

إنصافاً لجهد المحقق وتقديراً لعمله.

نشر فؤاد سزكين عام ١٩٨٧ رسائل أبي دلف مصورّة عن مخطوطة مشهد في مجلدٍ طُبع في ألمانيا جوار أعمال ابن الفقيه وابن فضلان، وأعيدت طباعته عام ١٩٩٤[٢].

أعمال أوربيّة عن رحلة أبي دلف الأولى

ترجم شلاوتزير المذكور الرحلة إلى اللغة اللاتينية، مُعتمِداً على نصّي القزويني وياقوت، لأن مخطوطة مشهد لم تكن معروفة بَعْدُ.

أما المستشرق الإسكتلندي هنري يول Henry Yule فقد استخدم ترجمة شلاوتزير في كتابه «الخِطَا[٣] والطريق الأبعد» (Cathay and the Way Thither) الصادر بمجلدين عام ١٨٦٦ في لندن[٤] والذي يجمع ما كُتِب عن الصين في القرون الوسطى، وأشار فيه إلى رحلة ومسار أبي دلف ومروره في الصين. وإلى هذا الكتاب نعود عند التدقيق بأسماء البلدان ومواقعها دون الاتفاق معه بالضرورة.

لكن الدراسة التي مُنحتْ أهمية كبيرة كانت للمستشرق الألماني جوزيف ماركوارت J. Markwart (ويكتبه الفرنسيون Marquart) المعنونة

«حملة أوربا الشرقية وشرق آسيا: جولة مسعر بن المهلهل قرب العاصمة الصينية»[٥] المنشورة عام ١٩٠٣[٦]، وبين أيدينا نسختها الألمانية الأصلية، لكننا لا نعود إليها بسبب عدم معرفتنا بالألمانية ولكن نعود للناقلين عنها.

عام١٩١٣ أنجز المستشرق الفرنسي غابرييل فرناند Gabriel Fernand، ترجمةً وتحقيقاً وهوامشَ، عمله الكبير «روايات الرحّالة والنصوص الجغرافية العربية والتركية المتعلقة بالشرق الأدنى من القرن الثامن حتى القرن الثامن عشر»[٧] وفيه ترجمة لنقولات ابن النديم عن أبي دلف (انظر الصفحات ١٢٢- ١٣٢) المنسيّة قليلاً. وفيه أيضاً ترجمة للقسم الأول من الرحلة حسب رواية ياقوت الحمويّ (الصفحات ٢٠٨- ٢٢٩). يستند فرناند إلى ماركوارت في مواضع كثيرة. وإلى كتاب فرناند نعود أيضاً عند التدقيق بأسماء البلدان ومواقعها دون الاتفاق معه بالضرورة كذلك. نجد في عملنا الحالي النص الكامل لترجمته الفرنسية من دون هوامشها من أجل تدعيم المقاربات النصية والمعرفية.

تجدر الإشارة إلى أن معجم البلدان لياقوت يتضمّن متن «الرسالة الأولى»، وقد سبق للمستشرق الألماني فرناند وويستنفيلد Ferdinand Wüstenfeld (ولد عام ١٨٠٨م وتوفي عام ١٨٩٩م) أن ترجمه ضمن عمله الموسوعي بشأن معجم ياقوت المنشور في لايبزك بين الأعوام ١٨٦٦-١٨٧٣م[٨]، انطلاقاً من مخطوطات المعجم يومذاك في برلين وسانت بطرسبورغ وباريس. وله كذاك عملان ضخمان كلاهما بمجلّدين: الأول عن القزويني[٩] عام ١٨٤٩ والثاني عن البكري عام ١٨٧٦[١٠]. ويبدو أن ويستنفيلد قد نشر الجزء المتعلق برحلة أبي دلف، انطلاقاً من نقولات القزوينيّ، في بحثٍ منفصلٍ له منشور ضمن كتاب جماعيّ صادر عام ١٨٤٢ عن جمعية الدراسات الجغرافية المقارَنة في ألمانيا[١١].

بعد ذلك، قام المستشرق الألماني الفريد فون رور ساوير Alfred von Rohr-Sauer بدراسةِ رحلةِ أبي دلف الأولى عام ١٩٣٩ في رسالةِ دكتوراه[١٢]، طبعها وظلت مرجعية لوقت طويل، وإليها يعود كراتشوفسكي أحياناً، متفقاً مع ما ورد في الكثير منها.

يذهب مُحقّقا الرسالة الأولى المصريان الدكتور فهمي سعد والدكتور طلال مجذوب إلى أن جَمْعَ الرسالة الأولى مع الرسالة الثانية في مخطوط مشهد يدلّ على أنهما كُتبتا معاً في حدود ٣٤٤هـ (ص١٠٧) وهو يوافق عام ٩٥٥ الميلادي. تاريخ لا تبرهن عليه جميع الإشارات الواردة في الرحلتين. من جهة أخرى لا يترك أبو دلف مجالاً للشك في أنه كتب الرسالة الثانية بعد الأولى بقوله: «جردتُ لكما [...] جملةً من سفري كان من بُخارى إلى الصين [...] ذكرتُ بعض أعاجيب ما دخلتُه من بلدانها [...]. ولم أستقصِ المقالة حَذَرَاً من الإطالة، ورأيتُ الآن تجريدَ رسالةٍ شَافيةٍ تَجْمع عامّةَ ما شاهدتُه..». أي أنه، بوضوح، كتب عملين اثنين. إن جَمْعَ العملين في مخطوط مشهد لا يقوم دليلاً على أنهما كُتبا في وقت واحد. لدينا إشارات واضحة في الأولى إلى أن الرحلة قامت حوالي عام٣٣١هـ/ ٩٤٢-٩٤٣م، ولا شواهد لدينا على وقت كتابتها. أما الثانية فالشواهد

تدلّ على أنها كتبت عام ٣٤١هـ/ ٩٥٢م أو بعدها بقليل (انظر مقدمة المُحقّقين الروسيّين، ص٢٥-٢٦ وسنعود إلى تحليل الاستشهاد أعلاه لاحقاً).

الرسالة الثانية:

وهي رحلة إلى آسيا الوسطى وأرمينيا. نشرها وحقّقها بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف، ترجمها وعلّق عليها الدكتور محمد منير مرسي وصدرت في مصر عن عالم الكتب القاهرية عام ١٩٧٠ بعنوان «الرسالة الثانية لأبي دلف» استناداً إلى مجموع مشهد سالف الذكر. لكن هذا العمل العربيّ الذي يُترجم كتاباً صادراً في موسكو عام ١٩٦٠[١٣] كان قد سبقه في الحقيقة عملٌ أساسيّ آخر قبل خمس سنوات لمينورسكي صدر بالإنكليزية عن جامعة القاهرة عام ١٩٥٥[١٤]. في البدء قام مينورسكي باستخراج ما في معجم ياقوت الجغرافيّ من مواد لأبي دلف من أجل أبحاثه الشخصية وما كتبه من مقالات لصالح دائرة المعارف الإسلاميّة، كما كتب مقالتين عن «الرسالة الثانية» لأبي دلف. اتسمت طبعة مينورسكي القاهرية على ما يقول بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف «بكل الدقة والترتيب التي تتسم بها أعمال مينورسكي العديدة. وإن معرفته الواسعة وخبرة عمله الطويل في ميدان الجغرافيا التاريخية لقارّة آسيا قد مكّنته من عمل تعليق قيّم. ويتكوّن هذا العمل -على حسب الطريقة العامة المتبعة في طبع أو نشر الآثار المكتوبة -من مقدمة والنص العربيّ والترجمة والتعليق ثم الدليل. والنص بأكمله والترجمة والتعليق مقسمة إلى ٧٢ فقرة. وهناك كثير من الأخطاء في النص الإنجليزيّ وكذلك بعض الأخطاء والكلمات الساقطة في النص العربيّ بما يَخْرج عن الحدود المرعيّة في الطباعة».

ظلت «الرسالة الثانية» مدة طويلة منسيّة ولم تلقَ اهتماماً جدّياً. في بداية الأربعينات أُعدّتْ في روسيا ترجمةُ مقتطفاتٍ من المعجم الجغرافيّ لياقوت تحتوي على معلومات عن أذربيجان والقوقاز بصفة عامة. وعند تحرير هذه الترجمة استخدم كراتشكوفسكي مخطوط مشهد وتوصّل إلى أن جزءاً كبيراً من معلومات ياقوت عن القوقاز مقتبسَة أو مستعارَة من «الرسالة الثانية» لأبي دلف. وقد مكّن ذلك كراتشكوفسكي من الفهم الواضح للأماكن الصعبة الغامضة في نص ياقوت، وبالتالي مكّنه من تصحيح الترجمات السابقة.

في اللغة العربية، قام الدكتور محمد منير مرسي بعمل صعب عند ترجمة هوامش الرسالة الثانية وتعليقاتها البلدانية وشروحها، فيه بعض الاجتهادات. تتقيّد ترجمته على ما يبدو بأسلوب الجملة الروسية في التقديم والتأخير والصياغة. أضِفْ لذلك أن لغتها العربية تبدو وكأنها لم تُشذّب وتُنقَّح، فبقيتْ وكأنها في حالةِ ترجمةٍ أوليةٍ بحاجةٍ إلى تحديدٍ دقيقٍ لخياراتها، فهو يضع أمامنا الكلمتين اللتين وردتا على بالٍ أثناء عمله التمهيديّ كقوله «معبر أو ممر»، وفي مكان آخر: «حصن في المفازة (المنطقة) معطشة التي بين قم والري» وما شابه. لقد نقل لنا أسماء المواضع بالحرف العربيّ، جُلّها مقبولٌ، وبعضها خاطئ، كأن يكتب خرداذبه هردادبه، إذا لم يكن الأمر محض خطأ طباعيٍّ، أو يكتب بستون

بستن. كان من المفيد لو أنه تبنّى ما نقترحه بشأن اسماء العلم الأجنبية: كتابتها أيضاً بالحروف اللاتينية بعد العربية، لتسهيل المهمّة على القاريء والباحث والمعنيّ والطالب الجامعيّ. إننا نلتزم بهوامش د. محمد منير مرسي مثلما ترجمها تقريباً للأمانة العلمية في المقام الأول، وتقديراً لجهده الكبير ثانياً، وثالثاً لأنها تقدّم – مثلما كتبها المحققان الروسيان بطرس بولغاكوف وأنس

يدلّ حديثه في الفهرست بأنه التقى شخصياً بأبي دلف الذي روى له بعضاً من مشاهداته في أرض الهند والصين

خالدوف– درساً مثمراً في التحقيق البلدانيّ والمقاربات الجغرافيّة. كل ذلك بعيداً عن أسلوب ترجمتها. سوى أن الالتزام بهوامش المحققين لم يعفنا من التدقيق بها أو ببعضها، وخاصة تطويرها والإضافة إليها، وكتابة أسماء المواضع بالحرف اللاتيني قدر المستطاع. لقد استخدمنا هذه الهوامش في عملنا الحالي مرتين: فقد بقيت مرةً مثلما هي في متن الرحلة مضافاً إليها تعليقاتنا وإضافاتنا، ثم استخدمتْ في الحديث عن مسار الرسالة الثانية، مع المزيد من الإضافات الضرورية والتوسّع. في المرة الأولى لكي يستطيع القارئ امتلاك تصوُّرٍ معقولٍ عن الموقع المعين ضمن سياق النص وطريقة سرد الرحّالة، وفي المرة الثانية من أجل تصوُّرٍ دقيقٍ للمسار الجغرافيّ في سياقٍ مختلفٍ. إننا نشير إلى هذه الطبعة اختصاراً بعبارة (طروس = الطبعة الروسية).

الطبعة الروسية من رحلة أبي دلف الثانية تعاود الاستشهاد بكتاب لوسترانج (بلدان الخلافة الشرقية: The Lands of the Eastern Caliphate)[١٥] من أجل تعيين المواضع في الرحلة. يمكن اعتبار كتاب لوسترانج باللغة الإنكليزية عملاً إيضاحيّاً أساسيّاً للرحلة من دون أن يتقصّد مؤلفه، ذلك أنه يدلّنا على الكثير من المواقع المندثرة وما حلَّ محلَّها ويضعها أمامنا، بطبعته الإنكليزية التي نعود إليها كذلك، بالحرف اللاتينيّ الذي يُسهِّل لنا عملية البحث عنها. وللأسف لم يفعل ذلك مُترْجِما الكتاب بشير فرنسيس وكوركيس عواد على جلالهما، سوى في بعض الأسماء.

تتقاطع بعض معلومات الرحلة من بعيد مع كتاب (حدود العالم) لمؤلف مجهول كتبه باللغة الفارسية عام ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م، بعد نصف قرن تقريباً من رحلة أبي دلف. عثر المستشرق الروسي تومانسكي .A. G Toumansky على مخطوطة الكتاب بمدينة بُخارى في أكتوبر عام ١٨٩٢م، فصار يُعرف باسم «مخطوطة تومانسكي مجهولة المؤلف». تحتوي المخطوطة على ٣٩ ورقة بقياس ١٨ x ٢٨سم. طُبع الكتاب أكثر من مرّة منها طبعتيْ الإيراني منوجهر ستوده[١٦] والروسي فلادمير مينورسكي[١٧]. قام إلى نقله إلى اللغة العربية يوسف الهادي[١٨] الذي توجّه، حسب قوله، إلى مخطوطة الكتاب نفسها التي توجد مصورتها في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (مكتبة بهارستان بطهران).

يعاود مُحقّقا رسالة أبي دلف الثانية الروسيان الإحالة إلى (حدود العالم)، لأكثر من سبب في رأينا: قرب زمن تأليف الكتاب من زمن الرحلة من جهة، ومن جهة أخرى كتابة الأعلام باللغة الفارسية التي قد تكون أقرب إلى اللفظ الأصليّ أحياناً.

يتكلم أبو دلف إذنْ عن تمثالٍ آخر لأنه لم يكن قد رأى، كما نعتقد، تمثال بوذا الشهير في الباميان

أبو دلف في فهرست ابن النديم

يذكر ابن النديم معطيات طفيفة جديدة لا تَرِدُ في الرسالتين. وقد يضيء لنا بعض معطيات الرسالتين ويجلو ما قد يكون تصحيفاً فيهما. وهو أمر يمتلك بعض الأهمية.

توفي ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق في ١٧ أيلول – سبتمبر عام ٩٩٥ أو ٩٩٨م. كان ورّاقاً كبير الثقافة. يستشهد عملُه عَرَضاً بنُتفٍ من أحاديث الرحّالة والجغرافيين المسلمين دون أن يكون معنياً مباشرَةً بالأدب الجغرافيّ.

يدلّ حديثه في الفهرست بأنه التقى شخصياً بأبي دلف الذي روى له بعضاً من مشاهداته في أرض الهند والصين: «وقال لي أبو دلف الينبرغي[١٩] وكان جوّالة...». والمفردة «جوّالة» بالتشديد تعبير عن تسمية «الرحّالة» التي لم تكن مكتشَفَة أو شائعة في زمنه (يصفه القزويني من جهته بأنه «كان سيّاحاً»). لا نعرف على وجه الدقة السنة التي التقى فيها الرجلان، بعد عودة أبي دلف من رحلاته أو من إحداها. فقد كان الرحّالة في سهل شهرزور عام ٩٥٢-٥٣م وفي قرمسين عام ٩٥١-٥٢م، وحسب إشارةٍ في الرسالة الثانية تتعلق بأبي الفضل جعفر السائر ترقى للعام نفسه، يمكن الذهاب إلى أن الرسالة كتبت في السنة نفسها. لذا يمكن الاستنتاج أن اللقاء بين أبي دلف وابن النديم يمكن أن يكون قد حصل في بغداد غالباً بين السنوات ٩٥٣-٩٦٠م. لكن إشارة أخرى أكثر وضوحاً تشير إلى أن ابن النديم التقى براهب نجرانيّ ورد من الصين عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧-٨٨م واستفسر منه عنها واضعاً معطياته بالتوازي مع معطيات أبي دلف يوحي لنا أن لقاءهما لم يتمّ إلا في وقتٍ لاحقٍ نفترض أنه بين الأعوام ٩٧٠م و٩٨٧م.

يضيء أبو دلف لابن النديم بعض المشكلات حسب معلوماته. جاء في الفهرست:

«ولهم بيت بالباميان، من أوائل الهند مما يلي سجستان [...] وبفَرْجِ بيتِ الذهب بيتٌ وقد اُختلفَ فيه، فقال قوم إنه بيتٌ مَن حجارة فيه بددة، وإنما سُمّي بيت الذهب، لأن العرب لمّا فتحت هذا الموضع في أيام الحجاج، أخذوا منه مائة بهار[٢٠] ذهباً. وقال لي أبو دلف الينبرغي[٢١] وكان جوّالة، إن البيت الذي يُعرف ببيت الذهب ليس هو هذا[٢٢]، والبيت في براري الهند من أرض مكران والقندهار، لا يصل إليه

إلا العبّاد والزهّاد من الهند. وإنه مبنيّ بالذهب، يكون طوله سبعة أذرع وعرضه مثل ذلك وارتفاعه اثني عشر ذراعاً مرصَّع بأنواع الجواهر، وفيه من البددة، المعمولة من الياقوت الأحمر وغيره من الحجارة الثمينة العجيبة المرصَّعة بالدرّ الفاخر، الذي الدرّة منه مثل بيضة الطائر وأكبر....».

يكتب ابن النديم البددة، بدالين بالجمع على غير قياس (المفرد بدّ، بُتّ)، ولعله يقصد تماثيل بوذا الذي يُلفظ، كما يبدو، بدال مشدّدة وهاء (أو بدال وذال وهاء) في اللغة الأصلية لذا يُكتب بالحروف اللاتينية هكذا: buddha. ينقل أبو دلف لابن النديم أن تمثال بوذا لا يوجد في الباميان (Bamian أو Bamiyan) وإنما في براري الهند من أرض مكران (Makran, Mékran) والقندهار (Kandahār, Qandahār). ويقدّم وصفاً شائقاً للتمثال لا نجدُ وصفاً يماثِله تماماً في الرسالتين (انظر الملحق في نهاية الكتاب).

وفي الحقيقة ثمة العديد من تماثيل بوذا في المنطقة المشار إليها. وفي الباميان يوجد تمثال بوذا الكبير، الشهير الذي فجّره الطالبان عام ٢٠٠١. أما المكران فهي تقع في بلوشستان اليوم بين إيران وباكستان، وعُثر فيها على العديد من الآثار القديمة، منها الكثير من تماثيل بوذا. يتكلم أبو دلف إذنْ عن تمثالٍ آخر لأنه لم يكن قد رأى، كما نعتقد، تمثال بوذا الشهير في الباميان. الغريب أن ابن النديم يقدّم صورة لأحد تماثيل بوذا لم تصلنا، ألا تراه يقول: «وقيل إن الصنم الذي بالمولتان هذه صورته..». ويا ليتها وصلتنا.

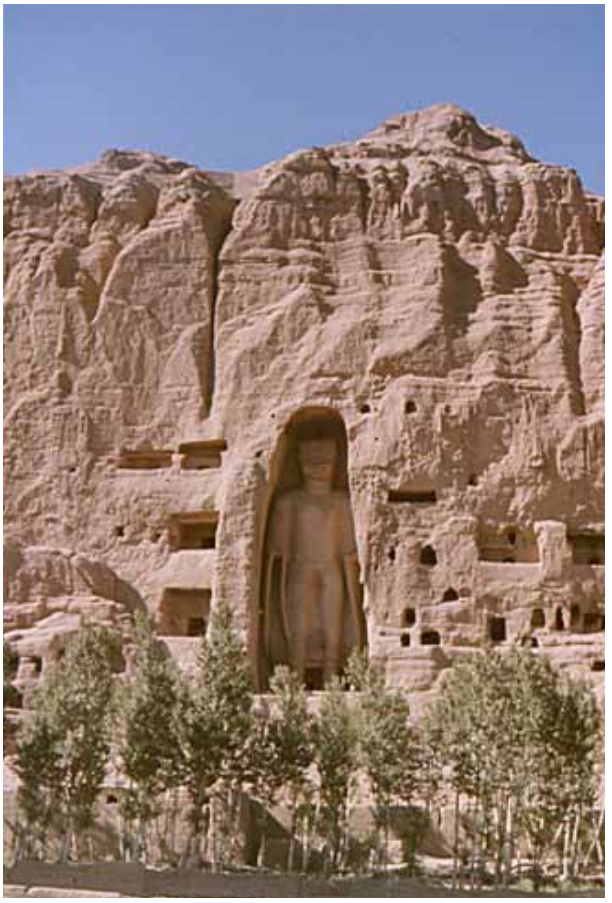

تمثال بوذا الكبير في الباميان الذي فجّره الطالبان عام ٢٠٠١.

إن جميع الفقرات في مقطع ابن النديم التي تبدأ بـ (وزعم) (وقال: قال لي بعض الهند) (وقال لي أبو دلف) (قال: وقال لي بعض من أثق به) (قال أبو دلف) يمكن عزوها لأبي دلف، ولن نجدها في رحلاته. يعتمد ابن النديم على راويتين: أبي دلف والراهب النجرانيّ (وقال لي الراهب النجرانيّ) الذي سنأتي إليه.

في الفقرة نفسها يعاود ابن النديم بعد جُمَلٍ قليلة

الاستشهاد بأبي دلف باسمه: «وقال لي أبو دلف: إن للهند بيتاً بقمار. حيطانه من الذهب وسقوفه من أعواد العود الهنديّ الذي طُول كل عودٍ خمسون ذراعاً وأكثر، قد رُصِّعتْ بددته ومحاريبه ومتوجّهات عبادته، بالدرّ الفاخر واليواقيت العظام». وهذه الفقرة غير موجودة في متن الرحلة الأولى، ولعله يتكلم فيها عن تماثيل هندوسية وليس بوذية.

بعد ذلك مباشرة يجيء في الفهرست: «قال: وقال لي بعض من أثق به: إن لهم بمدينة الصنف، بيتاً دون هذا وإن هذا البيت قديم، وإن جميع ما فيه من البددة، تُكلِّم العباد، وتجيبها عن جميع ما تسألها عنه»، المقصود بالقائل مرة أخرى أبا دلف، وهنا يذكر شيئاً جديداً عن الصنف (اليوم مدينةٌ في فيتنام) لم يَرِد في متن الرسالة الأولى. ومباشرة بعد هذه الجملة يضيف ابن النديم: «قال أبو دلف: والوقت الذي كنت فيه ببلد الهند، كان المُلْك للمَلِك على الصنف يقال (له) لاجين»، وهي فقرة لا تستقيم تماماً مع ما يقوله الرحالة في المتن المعروف للرحلة الأولى عن لاجين الذي يُسمّى في الرحلة قالين بن الشخير، وهو هناك ملك الصين وليس الصنف، في فيتنام.

يردف ابن النديم الحديثَ عن لاجين بالمعطيات التي ذكرها له الراهب النجرانيّ الذي لا نعرف حتى الآن شيئاً عنه. حديث الراهب عن «لوقين»، وهذا اسم جديد، يتفارق ويتقاطع في آنٍ واحدٍ مع معطيات أبي دلف كما سنوضح لاحقاً، لكنه قد يضيء لنا بعض المشكلات.

يقيمُ مؤلف الفهرست من بعيد توازياً بين معلومات أبي دلف ومعطيات الراهب النجرانيّ. من هو يا ترى هذا الراهب؟. لا يخبرنا المؤلف باسمه لكنه يقول لنا بأنه ورد من الصين عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧-٩٨٨م. كان مُرْسَلاً قبل سبع سنوات من طرف الجاثليق الذي سقط اسمه أيضاً من مخطوطات الفهرست[٢٣]. الجاثليق لفظ يونانيّ يُقصد به الرئيس الدينيّ الأعلى عند الكلدان النساطرة ويقابله حالياً (البطريرك). وكان معه خمسة عارفين بالدين المسيحيّ، فلم يعد سواه وعاد شخص آخر بعد ست سنين. التقى ابن النديم بالراهب في دار الروم وراء البيعة في بغداد: «فرأيتُ رجلاً شاباً حسن الهيئة، قليل الكلام إلا أن يُسْأل». دار الروم هي محلة الشماسية، شرقيّ حي الصليخ الحالي، في الجانب الشرقي من بغداد، حيث كنيسة ودير للمسيحيين العراقيين. سميت دار الروم نسبة إلى الأسرى الروم الذين انزلوا فيها في عهد الخليفة العباسي المهدي.

يورد الراهب معلوماتٍ إضافيةً عن بلاد الصين ودياناتها وحيواناتها وأصنامها وغير ذلك. ثم يقع بينهما حوارٌ نادرٌ في أدبيات القرن العاشر الميلادي:

«قال الراهبُ: وسألتُ عن أمر هذا القرن، فذكر فلاسفة الصين وعلماؤها، أن الحيوان الذي هذا قرنه إذا وضع الولد حصل في قرنه صورة أي شيء نظر إليه أولاً عند خروجه من الرحم.

قال: وأكثر ما يُصاب فيه الذباب والسمك.

قلت له: فيُقال إنه قرن الكركدن.

فقال: ليس كما يُقال، هو دابّةٌ من دواب تيك البلاد.

قال: وقيل لي إنه دابةٌ من بلد الهند وهذا هو

الصحيح».

وبعد قليل يستمر الحوار:

«وقال لي: والله يا أبا الفرج أنْ لو عَظَّمَ أحدُنا، من النصارى واليهود والمسلمين، اللهَ جلّ اسمه تعظيم هؤلاء القوم لصورةِ مَلِكِهم فضلاً عن شخص نفسه، لأنزل الله له القطر، فإنهم إذا شاهدوها، وقع عليهم الأفكل[٢٤] والرعدة والجزع حتى ربّما فقد الواحد عقله أياماً.

قلت: ذلك لاستحواذ الشيطان على بلدهم وعلى جملتهم يستغويهم ليضلهم عن سبيل الله.

قال: يوشك أن يكون ذلك».

وإثناء هذا الحوار يتذكر ابن النديم، تعزيزاً لملاحظةٍ أوردها الراهبُ، شخصاً صينياً اسمه «جيكى الصيني» ذَكَرَ له شيئاً مماثلاً في سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦-٩٦٧م.

بعدئذ يعرج ابن النديم للمرة الأخيرة إلى أبي دلف مستشهداً بقوله «أن اسم مدينة الملك الأعظم يسمى حمدان، ومدينة التجار والأموال خانقوا، وطولها أربعون فرسخاً» مقارناً هذه التقدير بتقدير الراهب العراقيّ: «وليس كذي قال الراهب حال دون هذا بكثير». هذه المعطيات لا توجد كذلك في متن الرحلة المعروفة، وكلها ستناقش في موضعها في الدراسة الحالية.

الحقيقيّ والخياليّ في رحلات أبي دلف

قبل ترجمة وتحليل الألمانيّ الفريد فون رور ساوير للرسالة الأولى عام ١٩٣٩م، كان الاعتقاد لدى بعض العلماء ينفي وقوع رحلة أبي دلف إلى الصين والهند (انظر مقدمّة الرسالة الثانية ص١٥). خلاف ذلك ساندَ المتخصّص الروسي كراتشوفسكي عملَ فون ساوير بشأن حقيقيّة حصول الرحلة الأولى، وإنْ ظل الاعتقاد الشائع يذهب إلى أنها قد بُنيت لاحقاً انطلاقاً من الذاكرة وتضمّنتْ، جوار الحقائق، الكثير من المعلومات التقريبية المُضبَّبة بل أموراً خيالية. وبالنسبة للرحلة الثانية يعاود المحققان الروسيّان التشكيك في زيارة أبي دلف «لبعض» الأماكن الموصوفة (ص٢٠) فهو «قلما عرف شيئاً عن ديلم وخوارزم لأنه لم يذكر عنهما معلومات تفصيلية، واكتفى بذكر وصف عام قصير، الأمر المتناقض تماماً مع حالات وصفه للأماكن التي يعرفها جيداً. يطلع هذا الشك في زيارة أبي دلف شخصياً لبعض المدن والبلاد من كلماته التي يعبّر بها عن وصف معالم هذه الأمكنة مثل: (يقولون هناك يوجد..). من هنا يمكن الاستنتاج أن أبا دلف كان يستخدم معلومات منقولة عن مصادر ثانويّة من مختلف ناقلي الأخبار، وبنّاء على رسالته الأولى فإن مثل هذا الأمر ليس بمستغرَبٍ عنه» (ص٢٠).

هذه الحجج ليستْ بكافية للتشكيك في زيارته لبعض الأماكن. فلو أنه وصل بُخارى، كما يقول هو نفسه، فلماذا نشكّكُ في مروره على خوارزم التي لا تبعد عنها إلا بأربعمائة وخمسين كيلومترا تقريباً؟. مفازة خوارزم هي التي أثارت في المقام الأول الريبة لدى المحققين الروسيين وكراتشوفسكي (انظر هوامش المتن ونقاشنا بصدد مسار الرحلة الثانية). لكن عبارة الرجل شديدة الوضوح: «وسرتُ منها في مفازة خورازم، فرأيتُ بها

آثاراً كثيرة لجماعةٍ من ملوك العرب والعجم، وأشجارها وغياضها كثيرة جداً يقع فيها ثلجٌ». إنه لا يتحدّث عن زيارته لمدينة خوارزم الممكنة مع ذلك من جهة، ويتحدث من جهة أخرى عن المَفازَةُ التي هي في اللغة: «البَرِّيَّةُ القَفْرُ». إن الجزء الجنوبيّ من مدينة خوارزم يتاخم صحراء قراقوم Karakoum. لا مجال للشكّ هنا في ما يقول أبو دلف إلا إذا توفّر دليل مفحم لا يوجد في الواقع حتى الآن.

أما لجهة تكراره لعبارة «يقولون هناك يوجد...» كما يترجم محمد منير مرسي، والمقصود بها صيغة المبني للمجهول العربية الشائعة (يُقال)، فأخشى أن يكون معناها الدقيق ولُوَيْناتها قد غابا عن غير الناطقين بالعربية. (يُقال) تأتي في الرحلة لمراتٍ كثيرة بمعنى يُسمّى، تسمّى: «ثم انتهينا إلى قبيلةٍ يُقال لهم الغزّ». في الرسالة الأولى كلها وفي جُلّ الثانية سبقتْ هذه الصيغة أسماء جميع البلدان: «بلد يُقال له كذا» أي يُسمّى بكذا. أما في الرسالة الثانية فهي تُستخدم بمعنى يشيع عن هذا البلد ويُعرف عنه: «وبالبنذين موضع يكون تكسيره ثلاثة أجربةٍ يُقال إن فيه موقف رجلٍ لا يقوم فيه أحدٌ يدعو الله إلا استجيبَ منه» أو «ويُقال إن تلك القرى كانت لأصحاب الرسّ الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن». في هاتين الحالتين وما يشابههما لا مجال للشكّ، ولم يشكّ أحدٌ في زيارته للبنذين أو للقرى. أما حكايته عن شعيرة الاعتراف المسيحي أمام القسّ التي يصل فيها إلى القول: «ويُقال إن القسّ يَبْسط كساءَه فكلّما ذَكَرَ ذَنْباً بَسَط القسّ يدَه ثم قبَضَها وقال: قد أخذته، ثم يطرحه في كسائه... إلخ» فهو شعيرة معروفة لا ريب فيها وإنْ صاغ بعضها بصيغة المبني للمجهول. مرات أخرى يستخدم الرحّالة صيغة المجهولية «يُقال» لأمر لم يتأكد هو منه بنفسه مثل حديثة عن آبار مدينة قمّ التي «يُقال إن الثلج ربّما خرج منها في الصيف». أو يستخدمه أثناء تفسيره لموضع شاهده ورأى فيه شيئاً فنقل عن غيره، مثل تفسيره لاسم قرية الهنديجان التي زارها فقيل له أنها مشتقة من الهند: «ويُقال أنّ جيلاً [من] الهند لما قصدتْ بعض ملوك الفرس لتزيل مملكته كانت الوقعة في هذا المكان».

قبل ترجمة وتحليل الألمانيّ الفريد فون رور ساوير للرسالة الأولى عام ١٩٣٩م، كان الاعتقاد لدى بعض العلماء ينفي وقوع رحلة أبي دلف إلى الصين والهند

لم نجد سوى ذلك في الرحلتين. ولا يوجد فيهما كليهما ما يدلّ على أن الرحّالة لم يزرْ تلك المواضع كما يعتقد المحققان الروسيان اللذان يُحمِّلان أبا دلف ظلماً شنيعاً عبر سوء الفهم لهذه المفردة.

وعلى ما يبدو فإن سوء الفهم هذا لا يتوقف على فعلٍ مبنيٍّ للمجهول حُمِّل أكثر مما يَحْتمل وفُسّر حرفياً، إنماً ينطلق من فكرةٍ شائعة كامنة عن وفرة (المُتخيَّل) في رحلات أبي دلف، أكاد أقول وحده وبشكل استثنائي. أليس من القسوة أن يستنتج المحققان الروسيان: «وبناء

على رسالته الأولى فإن مثل هذا الأمر ليس بمستغرَب عنه». أليس من الإجحاف الفادح رفض الرسالة الأولى جملةً وتفصيلاً كما فعل المستشرق الروسي غريغوريف V. V. Grigorief الذي يستنتج أن «القصة لا تقوم على أساس من الواقع بل هي جمع لشتاتِ ما قرأه وسمعه من الآخرين».

قَبْلَ المستشرق الفريد فون رور ساوير والروسيّ كراتشوفسكي اللذين أثبتا صحّة الرحلة، قيل الكثير عن الخياليّ في رسالة أبي دلف الأولى خاصةً، والمبالغات في بعض فقراتها، وهو أمر صحيحٌ. لكنه يجب أن يوضع في سياقه التاريخيّ والإبستمولوجيّ الدقيق.

لم يستطع السياق الذي اشتغلت فيه الحضارة الإسلامية أن ينُج بشكلٍ عام من الخرافة. أما على الصعيد الأدبيّ، ثم السرديّ في أنواع محدّدة كأدب الرحلة، فقد كان هناك على الدوام خلطٌ بين الواقعيّ والغرائبيّ. يُستجلب الأخير استجلاباً، بناءً على شرطٍ ثقافيّ عام راغبٍ بالتصديق، ومن قبل الأطراف جميعاً، منتجي النصوص ومتلقيها، وبطريقة مفرطة أحياناً، مقبولة عرفياً. قال أبو العباس المبرد عن (تكاذيب الأعراب): «تكاذب أعرابيان فقال أحدهما: خرجتُ مرة على فرس لي فإذا أنا بظلمة شديدة فيمّمتها حتى وصلتُ إليها، فإذا قطعة من الليل لم تنتبه فما زلت أحمل بفرسي عليها حتى أنبهتها، فانجابتْ. فقال الآخر: لقد رميتُ ظبيًا مرة بسهم فعدل الظبي يمنة، فعدل السهم خلفه، فتياسَر الظبي فتياسر السهم خلفه، ثم علا الظبي فعلا السهم خلفه، فانحدر، فانحدر عليه حتى أخذه». نحن هنا في مقام الكذب الذي صار لعبة اجتماعية للمخيَّلة، بينما نحن في مقام الغرابة والمُدْهِش في أدب الرحلات، وبينهما يقف حدٌّ واهٍ لكن جوهريّ: الأول خيال محض، والثاني خيال مسنودٍ بالسرد وبما يمكن أن يكون واقعاً بعيداً، شعباً، بلداً، حيواناً، في غير متناوَل المتلقّين الذين يقْبَلون طواعيةً بغرابته طالما يخاطِب متطلبات المتخيَّل لديهم. ثمة تواطؤ ثقافيٌّ يجدُ له في الجغرافيا وأدب الرحلة مكاناً خصباً.

إن «أنطولوجيا الغرائبي في الأدب الجغرافي العربي» التي نقوم بإنجازها ستبرهن أن غواية الغرائبيّ لم يسلم منها غالبية الكتاب التراثيين، بدءاً من نواخذة السفن والتجار المسافرين في القرن التاسع الميلادي ثم كبار البلدانيين في القرنين العاشر والحادي عشر، مروراً بالعجائب التي يرويها المسعوديّ في بعض كتبه وهو شيخ المدقّقين المُحْترِسين، وليس انتهاءً ببقايا من الغرائبيّ هذا عند البيرونيّ الماديّ العقلانيّ في «تحقيق ما للهند». بعض الغرائبية أدهى مما ورد في رسالتيْ أبي دلف لكنها لم تثر الأسئلة ذاتها التي قيلت بشأن الرجل. من الصعب تفسير ذلك سوى بالزعم أن إيمانه العميق هو نفسه بالغرائب وخواص المعادن الثمينة والخوارق والخيمياء لم يؤخذ بنظر الاعتبار. لم يؤخذ أيضاً على محمل الجدّ نزوعه الشعري وطبيعة سرده الأدبيّ الانطباعيّ عن البلدان التي زارها، وحُسِبَ عالِماً جغرافياً، وطولبتْ كتاباته لذلك بالصرامة المنهجية والرياضية والتقعيد.

ما يشفّ من رسالتيه لا يدلُّ على اختلاقٍ. مساراته

معقولةٌ وإنْ لم يتقيّد بتدوينها مثلما وقعتْ. رحلاته واقعية وجُلّ البلدان التي يذكرها معروفة وفي رقعةٍ شاسعة لكن محدّدة، وإنْ قفز نصّه أحياناً من مكانٍ لآخر. لم يُحْسَب حسابٌ كذلك لإمكانية وجود نصٍّ ضائع كاملٍ من رحلاته، ولم تُحلَّل بعض مفرداته على أنها تصحيفٌ من طرف النسَّاخ. وهنا بعض الجهد الذي تحاوله طبعتنا الحالية.

إذا ما أشرنا إلى التصحيف ومنحناه أهمية استثنائية، فلأنه قد غيّرَ، على نحوٍ معين، طريقة قراءة الرحلة، وجعل الشك يحوم حول بعض روايات الرجل، ولأنه يضرب مفاصل أساسية فيها، بدءاً من لقب أبي دلف الذي يردُ في المخطوط الأصلي (البنازعيّ) وهو ما يُثْبته متن الطبعة المصرية، ويرد لدى ابن النديم (الينبرعيّ)، وليس انتهاء بعبارات كاملة، لا معنى لها في الحقيقة من دون رؤية تصحيف فيها كعباراته: «على ظهره أبيات شِعْر، رُثِيَ بها زيد»، أو قوله «ولهم بيتُ عبادةٍ على رأسِ عَقَبَةٍ عظيمةٍ، عليه سدّ، وفيه أصنامهم من الفيروزج» التي يتوجب قراءة (سد) فيها (بُدّ) أي كاهن أو تمثال بوذا، أو عبارته «تتلقاه رحىً تصبّ على ما دونها ثم إلى غيرها» حيث جاءت (تصبّ) في المخطوط بالنون (نُصِبَ). ثم تضرب أسماء البلدان والقبائل مثل قبيلة (النجا) في المخطوط التي قرأها البعض (البجا)، وبلد «بهي» التي تُحّيرنا، أو قلعة «وريمان» التي لا نعثر عليها رغم وفرة القلاع التاريخية في المنطقة التي يتحدث عنها[٢٥].

من هو الرحّالة أبو دلف الينبوعي الخزرجي؟

يتوجّب التنبيه، حيطةً، إلى ضرورة التفريق بين أبي دلف العجليّ، القاسم بن عيسى بن إدريس، الشاعر والإداريّ الذي قلّده الرشيدُ أعمال مقاطعة «الجبال» رغم حداثة سِنِّه، فبقي فيها حتّى وفاته، وكان قد وُلِّيَ قبل ذلك إمرة دمشق للمعتصم، وهو صاحب البيتين الشهيرين في مدح علي بن جبلة الذين أغضبا المأمون:

إنَما الدُنيا أَبو دُلَفٍ ... بَينَ مَغزاهُ وَمُحتَضَرِه
فَإِذا وَلّى أَبو دُلفٍ ... وَلَّتِ الدُنيا عَلى أَثَرِه

وبين رحالتنا أبي دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبوعيّ (...- ٣٩٠هـ/ ...-١٠٠٠م تقريباً) الشاعر والرحّالة العبّاسيّ. تجاوز التسعين من عمره متنقلاً في البلاد. كان يتردّد إلى الصاحب بن عباد فيرتزق منه ويتزوّد كتبه في أسفاره. صاحب (القصيدة الساسانيّة) المُكرَّسة لفنون الكدْية التي تشتمل على مجموعة كبيرة من الكلمات الشائعة في عاميّة العصر العباسيّ، وقد أورد الثعالبيّ بعضها في «يتيمة الدهر» وأولها:

جفونٌ دمعُها يجري ... لطولِ الصدّ والهجرِ

لا علاقة لاسم القصيدة بأيّ ميلٍ «سياسّي» كما قد يرشح منه أو كما قد نعتقد، لأن القصيدة في الحقيقة تتحدث على لسان الشحّاذين وأساليب الكدْية التي تحقق حرية المكدي ونجاته:

فطبنا نأخذُ الأوقا ... تَ في العُسْر وفي اليُسْرِ
فما ننفكُّ من صمي ... وما نفترُ من مَتْرِ
فأحلى ما وجدنا العيشَ ... بين الكمد والخمر

بنو ساسان تعبير استعاريّ عن المُكدِّين، والقصيدة

لم يستطع السياق الذي اشتغلت فيه الحضارة الإسلامية أن ينجُ بشكلٍ عام من الخرافة. أما على الصعيد الأدبيّ، ثم السرديّ في أنواع محدّدة كأدب الرحلة، فقد كان هناك على الدوام خلطٌ بين الواقعيّ والغرائبيّ

«تمتدح نمط حياة «بني ساسان» وهم على حدّ قول ترويتسكي قومٌ من الصعاليك المتسوّلين. ومن القصيدة نعرف أن التسوُّل والصعلكة من السمات الأساسية لبني ساسان»[٢٦]. وفي ظني مُنحتْ للقصيدة هذا الاسم إما بسبب احتشادها بالمفردات الفارسيّة التي كانت تشكل جزءاً من عاميّة ذلك الوقت، بل حتى الآن في العراق الحديث، وإما لأنَّ المفردة كانت رديفاً لغوياً شعبياً للكدْية في العصر العباسي، إذْ هناك العديد من الأعمال الأدبية المسمّاة بالساسانية، منها المُقامة الساسانيّة للحريريّ، وفيها يُوصي أبو زيد السروجي ابنه بلزوم حرفة بني ساسان في الكدية: « فقدْ كانَ مكتوباً على عَصا شيْخِنا ساسانَ: منْ طلبَ جلبَ. ومنْ جالَ نالَ». ومنها المقامة الساسانيّة المتأخرة لشهاب الدين الخفاجيّ. وكذلك القصيدة الساسانيّة لصفي الدين الحلي.

كرّس باوسوورث بحثاً لها بعنوان «الجانب الآخر من العالم الإسلامي في القرون الوسطى: نصوص عربية عامية، القصيدة الساسانية لأبي دلف وسيف الدين»[٢٧].

ينحدر أبو دلف الخزرجي من قبيلة عربية عريقة، فنسبته تعود إلى الخزرج بالمدينة المنوّرة، أما الينبعيّ فهو نسبة إلى مدينة ينبع على ساحل البحر الأحمر، ويُوصف أيضاً بالينبوعيّ. جاء في (الروض المعطار في خبر الأقطار) للحميري تحت مادة ينبع:

«قالوا: ومِنَ الجار إلى الينبع، وهو الوادي الذي فيه ضياع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أربعون ميلاً. ومنها أبو دلف الخزرجي الينبعيّ، ذكره الثعابي في اليتيمة، وكان شاعراً متشيّعاً، وهو القائل:

دارَ السلام هنيئا بدعوة ابن الرسولِ
جاء النهار ووَّلى ظلام تلك الذحولِ
ما إنْ رأيتُ حصاناً حماله في النصولِ

قال ذلك للبساسيري القائُم بدعوة المستنصر العبيديّ خليفة مصر، وذلك سنة خمسين وأربعمائة».

يورد محمد عبد المنعم خفاجي في كتيِّبه (أبو دلف الخزرجي، عبقريّ من ينبع)[٢٨] أن بديع الزمان الهمذاني قد تتلمذ عليه، وأن أبا الفتح الاسكندريّ الذي يَنْسب بديع الزمان الهمذانيّ إليه إنشاء مقاماته إنما هو أبو دلف نفسه. ويعاود التذكير بأن رحلتيه كانتا كتاباً واحداً يسمى «عجائب البلدان» حسب القزويني وياقوت وذكرهما بهذا الاسم بروكلمان [وكذلك كليمون هوارت عام ٣٠٩١[٢٩]].

قبل ذلك ذهب د. شوقي ضيف في (الفن ومذاهبه في النثر العربيّ) إلى الأمر نفسه قائلاً إن: «صلة البديع في مقاماته [بالشاعرين الأحنف العكبريّ[٣٠] وأبي دلف] وتأثره بهما يقوم عليهما أدلة كثيرة، فهو في المقامة الأولى يُجري على لسان أبي الفتح بطل مقاماته» بيتين

هما من شعر أبي دلف رواه صاحب اليتيمة. ليس هذا فحسب، بل أن «من يقرأ المقامة الرصافية للبديع يشعر أنه نثَرَ فيها قصيدتيْ الأحنف وأبي دلف اللتين صوّرا فيهما حيل المكدِّين»[٣١].

ويبدو أن كليهما، خفاجي وضيف، يستلهمان رأي المستشرق بلاشير المنشور في «أنسكلوبيديا الإسلام» في أن مصاحبة بديع الزمان لأبي دلف الخزرجي قد أعطته فكرة المقامات[٣٢].

هذه المعلومات جميعاً هي استنتاجات طالعة من كلام الثعالبي الذي يذكر في اليتيمة أنْ قد «أنشدني بديع الزمان لأبي دلف، ونسبه في بعض المقامات إلى أبي الفتح الإسكندري:

ويحك هذا الزمان زورُ
فلا يغرّنّك الغرورُ... إلخ».

ينحدر أبو دلف الخزرجي من قبيلة عربية عريقة، فنسبته تعود إلى الخزرج بالمدينة المنوّرة، أما الينبعيّ فهو نسبة إلى مدينة ينبع على ساحل البحر الأحمر، ويُوصف أيضاً بالينبوعيّ

يذهب الشيخ جاسم محمد راضي الأنصاري مؤلف «معجم الأوسي لكشف حقيقة أنساب القبائل وأصولها» (بغداد ٢٠٠٦، ص٢٧٠)» إلى أن «عشائر الدلفية من شمر عبده [اليوم] هم بطن من الأنصار وينتسبون إلى مشعر بن مهلهل الينبوعي المعروف بأبي دلف، شاعر رحّال».

رحّالةٌ وشاعرٌ لا يرشح عن حياته المديدة إلا القليل من المعطيات. يبدو أنه كان يتردّد على بلاط السامانيين. ينحدر مؤسس السلالة سامان من أسرة الرهبان في الديانة الفارسية القديمة. منذ عام ٨١٩م أصبح أحفاده الأربعة ولاة من قبل الطاهريين على كل من سمرقند وفرغانة والشاش وهراة. أعْقبَ نصر الأول بن أحمد (٨٧٤-٨٩٢م) أباه في الولاية على سمرقند سنة ٨٦٤م. بعد سقوط دولة الطاهريين سنة ٨٧٤م أصبح والياً على ما وراء النهر من قبل الخليفة العباسيّ المعتمد الذي ولاه بلاد ما وراء النهر سنة ٢٦١هـ =٨٧٥م قبل أن يستقلَّ بها، ليسيطر السامانيون في زمن نصر بن أحمد السامانيّ (الأول) على أقاليم ما وراء النهر وخراسان وسجستان وطبرستان والريّ. وكان لنصر أخٌ يدعى «إسماعيل السامانيّ» ولاه الخليفة بُخارى. عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٣م مات نصر فقام أخوه إسماعيل (٨٩٢-٩٠٧م) مقامه في بلاد ما وراء النهر، فوطَّد أمرها. وقضى على دولة الصّفاريين (حتى سنة ٩٠٣م) ثم ضمّ إليه أفغانستان وأجزاء كبيرة من فارس مع خراسان. بلغت الدولة أقصى اتساعها أثناء عهد نصر الثاني (٩١٤-٩٤٣م) وامتدت من بغداد إلى كرمان ومازندان حتى تركستان وحدود الهند. بعد ٩٤٥م أزاح البويهيون السامانيين عن ما وراء النهر وخراسان. أنهكت الدولة السامانية قواها في حروب طويلة مع القبائل التركية الضاربة على حدود الدولة الشرقية. استغل الغزنويون الفرصة فاستولوا سنة ٩٩٤م

على خراسان ثم ضمّ القراخانات مناطق ما وراء النهر سنة ٩٩٩م. قتل آخر الأمراء السامانيين سنة ١٠٠٥م أثناء محاولته الفرار.

خشية للالتباس[٣٣] يتوجب التفريق بين نصر بن أحمد الساماني (الأول)، ونصر بن أحمد الساماني (الثاني)، بالاسم نفسه في المراجع العربية. كان أبو دلف يتردّد على ابن إسماعيل الساماني، أبو الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني، أو نصر الثاني، الأمير بين السنوات (٩١٤-٩٤٣م).

يضعه الثعالبي في «يتيمة الدهر» بين الشعراء والمثقفين الذين تردّدوا على مجلس الوزير الصاحب بن عباد البويهي (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)[٣٤] ويسميه أبا دلف الخزرجيّ، ويقول عنه (ج٣ ص٤١٣-١٤):

«شاعر كثير الملح والظرف، مشحوذ المدية في الكدية، خنق التسعين في الإطراب والاغتراب، وركوب الأسفار الصعاب، وضرب صفحة المحراب بالجراب، في خدمة العلوم والآداب، وفي تدويخه البلاد». «وكان الصاحب يحفظ مناكاة بني ساسان حفظاً عجيباً، ويعجبه من أبي دلف وفور حظه منها، وكانا يتجاذبان أهدابها، ويجريان فيما لا يفطن له حاضرهما، ولما أتحفه أبو دلف بقصيدته التي عارض بها دالية الأحنف العكبريّ في المناكاة وذكر المُكدِّين والتنبيه على فنون حرفهم وأنواع رسومهم وتنادَرَ بإدخال الخليفة المطيع لله في جملتهم، وقد فسَّرها تفسيراً شافياً كافياً اهتز ونشط لها وتبجَّحَ بها، وتَحَفَّظَ كلها، وأجزل صلته عليها». وقد اختار منها الثعالبيّ ١٩٥ بيتاً وساقها في يتيمته مع شرحها وأكثر مصطلحاتها فارسيّ وعاميّ.

قام بشرح القصيدة أيضاً ابن العتائقي الحلّي (توفي نحو ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)[٣٥]، وهو شرح مختصر لبعض ألفاظ القصيدة، بخط ابن العتائقي نفسه كتبه سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م، ضمن مجموعة مخطوطة (رقم ٧١٠)، حسب فهرست مخطوطات خزانة الروضة الحيدرية في العراق.

غالبية أشعار أبي دلف لم تصل إلينا سوى أراجيز ومقطوعات ينقلها الثعالبيّ (انظر للفائدة ملحق٢ في نهاية هذا الكتاب).

ويبدو أن أبا دلف كان طبيباً ومنجِّماً وعالماً بالأحجار الكريمة والمعادن حيث ينقل الثعالبي في اليتيمة[٣٦] ما يدلّ على ذلك:

«كان بحضرة الصاحب [بن عباد] شيخ يكنّى بأبي دلف مسعر بن مهلهل الينبوعي يشعر ويتطبّب ويتنجَّم ويحسد السلامي على منزلته فيتعرّض له ويولع به حتى ألقمه السلاميّ الحجرَ بأن قال له يوماً [من الخفيف]:

قال يوما لنا أبو دلف أبرد من تطرق الهموم فؤادهْ
لي شعر كالماء قلت أصاب الشيخ لكن لفظه برادهْ
أنت شيخ المنجِّمين ولكن لست في حكمهم تنال السعادهْ

وطبيب مجرّب ماله بالنجح في كل ما يجرب عادهْ.

أما الطرفة التي ينقلها مؤلف (التدوين في أخبار قزوين)[٣٧] فإنها تدلّ على علو باع أبي دلف في معرفة البلدان وخصائصها الجغرافية ومنتجاتها اليدوية:

«كان أبو دلف الخزرجي، وأبو علي الهائم من

ندماء عضد الدولة، فجَرتْ بينهما يوماً مداعبة أدت إلى المهاترة بعد المحاضرة والمذاكرة، فقال أبو علي لأبي دلف: صبّ لله عليكَ طواعين الشام، وحُمّى خيبر، وطحال البحرين، وضربكَ بالعرق المدني، والنار الفارسية، والقروح البلخية، فقال أبو دلف: يا مسكين، أتقرأ: تبت علي أبي لهب، وتنقل التمر إلى هجر فخذ إليك صبَّ اللّه عليكَ ثعابين مصر، وأفاعي سجستان، وعقارب شهرزور، وجرّارات[٣٨] الأهواز، وصبَّ عليَّ برود اليمن، وقصب مصر[٣٩]، وخزوز السوس[٤٠]، وأكسية فارس، وخلل أصبهان[٤١]، وسقلاطون[٤٢] بغداد، وسمور[٤٣] بلغار، وفنك[٤٤] كاشغر، وثعالب الخزر، وجوارب قزوين وكذا وكذا، فعد الجوارب من خواص قزوين، ولا يدري أقصد الجوارب الصوفية، أو جوارب من الجلود»[٤٥].

مشكلات الرسالة الأولى

تثير الرسالة الأولى، وليس الثانية، الكثير من المشكلات، وكانت موضوعاً للتفسيرات المُتفارقة، وساهم في تأويل أماكنها وقبائلها وإشاراتها المقتضَبة باحثون من ألمانيا وإنكلترا وفرنسا وروسيا والصين وتركيا وجنوب شرق آسيا واليابان. لم يتفق الجميع على المقصود بمكان اسم العلم هذا أو ذاك. كان ضرورياً لذلك الحصول على غالبية المعطيات عن أماكن وقبائل بعينها كالخركاه والطخطاخ و الخطلخ والبجا (أو النجا) ووضعها كلها أمام القارئ، ليرى البون بين الباحثين في تأويلها، ويتأمل في عدم وجود اليقين بشأنها. تذهب المادة المتيسّرة بين أيدينا من مؤلفات القرن الثامن عشر إلى اجتهادات باحثين صينيين معاصرين، وقد استخرجناها من مظانها الأصلية في غالب الحالات، وكان لوجودنا في مدينة جنيف صائفة عام ٢٠١٠ دور إضافي في إيجاد المزيد من المراجع المتوفرة في المكتبات العامة، خاصة «مكتبة الفن والتاريخ» التي تحتوي على مصادر في غاية الغنى. بعض مراجع القرن التاسع عشر حصلنا عليها كاملة من كنوز الكتب الأوربية المنشورة على النيت بصيغة (بي دي أف) مثل كتابيْ ماركوارت وهنري يول النادرين وبعض مجلدات أنسلكوبيديا الإسلام. علينا تقديم عرفان بالجميل كذلك لموسوعة ويكيبيديا المتوفرة على شبكة النيت التي لها الفضل الوفير في مدِّنا بالكثير من المعلومات العامة وبسط العيد من إشكاليات أسماء العلم. لقد استعنا في نهاية المطاف ببعض الأصدقاء من الأتراك والطلبة الصينيين في التفتيش عما يمكن أن يكون قد كُتب عن رحلة أبي دلف الأولى في لغاتهم. كان من نتائجه أن أرشدنا طالب في جامعة جنيف إلى مقالة ثمينة عن مفردات الرسالة الأولى الإشكالية، وساهم قدر ما يستطيع في إعطائنا خلاصة عنها مشيراً إلى كل فقرة صينية تتعلق بمفردة محددة. لم يشأ أن نذكر اسمه بسبب هيبةٍ منهجيةٍ وتواضع أمام أسماء علم ومؤلفين لا يعرفها جيداً، ثم استعنا بدارس وحاصل على شهادة من الجامعة التونسية باللغة الصينية، لكي نتحقق من صواب ودقة خطاطة الترجمة الأولى، وكانت ترجمته للأسف غامضة ومريبة وغير صالحة للاستخدام إلا في مواضع

قليلـة. النص الصينيّ الموضوع فـي هوامش هذه الطبعة على ذمّة الطالب.

ممـا لا شـك فيه فـإن بعض قـراءات غابرييـل فرناند وهنـري يـول لأسـماء العلم فـي الرحلة الأولـى لم تعد مقبولـة اليـوم. يرفض مثـلاً جان سـوفاجيه فـي تحقيقه ونشـرته مزدوجة اللغة لكتاب (أخبار الصين والهند)[٤٦] بعض تفسيرات غابرييل فرناند لمفرداتٍ مشتركةٍ ترِدُ في تحقيقه وفي رحلة أبي دلف. تبدو بعض تفسيرات هنري يول مفرطة اليوم بدورها عن أصل قبيلة البغراج. والكثير سوى ذلك.

أيّ خطـأ ارتكبناه، نحن مسـؤولون عنـه، وأي نجاح أصبناه فإن فضلنا فيه قليلٌ، لأنه يرجع لتلك المساهمات مُجتمِعَـةً. لقد قمنا بدراسـة وتقليـب الخلاصـات والأفـكار والتأمـلات والدراسـات والملاحظات التي قيلت بشـأن الرحلتين. ومنهـا حاولنـا الخلـوص إلـى تصـوّرات جديدة وشـخصية، وهو أمرٌ يبـدو صعباً بعـد اجتهـادات ماركوارت وهنري يـول وجبريل فرناند وكراتشكوفسـكي ومينورسـكي العميقـة. إننـا نديـن لهـم بالكثيـر وإنْ اختلفنا هنـا وهناك. اختـلافٌ قادمٌ من «الرجوحيـة» و«الاحتماليـة» التي يتأرجـح بينهما عملنا لأسـباب فـي آن واحـد موضوعيـة وذاتيـة، ومـن بعض الوثوقيـة والإطلاقية، بل التهم القاسـية، لبعضهم بشـأن عمـل أبي دلف. يتفق الجميع بـادئ ذي بدء على الطابع المُختصَـر لعمل أبـي دلف، ويتفق الغالبيـة ثانياً على أنه لـم يجـرِ التوصّل سـوى إلى نسـخة يتيمة منـه تعرَّضتْ للتدخـلات. بعضهم لا يقيم لمخيلتـه، لمخيلة الباحث، وزنـاً عند إعـادة بناء النـص الأصلي المُحتمَـل للرحلة، سنقول عند حلم اليقظة بالنص الموجود بين يديه، سواءً فـي تصوّر الهاجـس الذي دفع أبي دلـف للقيام برحلاته بصفته شـاعراً وليـس جغرافياً، وبالنتيجة أسـلوب كتابته بطريقـة تقوم على المسـتحثّ والباقي منهـا في الذاكرة. من الناحية الأسـلوبية لدينا في الرسـالتين كليهما الرجل نفسه دون شك. هل يتوجّب قيام شاعر معاصر بقراءة ما بقيَ من نصٍّ رحليّ لشاعر مُتقدِّم آخر لكي تستقيم القراءة وتمتلـئ الفجوات التـي اعتبرها الباحثـون الأكاديميون المعاصـرون خلـلاً وأكاذيب ومفارقـات وقفـزات فـي الجغرافيا والأوهـام؟. نتذكّر في هـذا المقام عبـارة ياقوت الحموي القاسـية فـي التنديد والتشـكيك فـي أبـي دلـف، ومنـه تلاقـف الجميع الفكرة حتـى يومنـا الحالي: «قال عبيـد اللـه الفقيـر إليه مؤلف هـذا الكتاب: هـذا كله عن أبي دلف مسـعر بن المهلهل الشاعر وأنا بريء من عهدة صحتـه فإنه كان يحكي عنه الشـريد والكَذِب وإنما نقلته على ما وجدته والله أعلم».

أن بديع الزمان الهمذاني قد تتلمذ عليه، وأن أبا الفتح الاسكندريّ الذي يَنْسب بديع الزمان الهمذانيّ إليه إنشاء مقاماته إنما هو أبو دلف نفسه

جملـة ياقـوت فظيعـة، وتنقصهـا العدالـة والمُخيِّلة الضروريتيـن اللتين امتلكهما الشـاعر، وليس الجغرافيّ العقلانـيّ الذي قد لا يرى الصلات الداخلية العميقة بين

الجغرافيا البشرية والشعر.

مختصرات

الدكتور فهمي سعد والدكتور طلال مجذوب: تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، بيروت، عام ١٩٩٣م. نسميها الطبعة الأولى لأنها الأقدم، ونختصرها بالرمز (عط١).

(عط١ = عن الطبعة١).

مريزن سعيد مريزن عسيري، دراسة وتحقيق: الرسالة الأولى لأبي دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي، جامعة أم القرى، عام ١٩٩٥م. طبعة لاحقة للرسالة الأولى. نسميها طبعة مريزين للتكرار الواقع في اسم الباحث الكريم ونختصرها بالرمز (مز).

(مز = مريزين).

بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف، نشر وتحقيق: الرسالة الثانية لأبي دلف، ترجمها وعلّق عليها الدكتور محمد منير مرسي، عالم الكتب القاهرية، عام ١٩٧٠. وهي ترجمة للطبعة الروسية الصادرة عام ١٩٦٠:

Bulgakova and A. B. Khalidov, Vtoraya Zapiska Abū Dulafa, Moscow, 1960.

النص الروسي الكامل للرحلة مُدْرج في كتابنا الحالي لفائدة المعنيين والباحثين. نختصر اسم الطبعة الروسية هذه بالرمز (طروس).

(طروس = الطبعة الروسية).

مخطوطة مشهد. الصفحة 347.

الهوامش

* شاكر لعيبي: شاعر عراقيّ. اليوم أستاذ تاريخ الفن في جامعة قابس، تونس. أتمّ دراسته الأكاديمية في جامعة لوزان في سويسرا. أصدر إحدى عشرة مجموعة شعرية، منها (الأدنى والأقصى، ٢٠١١)، (عزلة الحمل في برجه، ٢٠٠٧)، (عقيق مصري، ٢٠٠٥)، (الحجر الصقيلي، ٢٠٠١)، (ميتافيزيك، ١٩٩٦)، (بلاغة: نصّ وعشرون تخطيطاً، ١٩٨٨). وترجم العديد من الأعمال، منها (ريلكه: الأعمال الشعرية المكتوبة بالفرنسية مباشرةً) ٢٠٠٨. تتوزّع بحوثه ودراساته بين الشعر والفن التشكيلي وتحقيق الرحلات، منها (الفن الإسلامي والمسيحية العربية)، (العمارة الذكورية) (الشاعر الغريب في المكان الغريب) (لغة الشعر)، (المستحمات في ينابيع عشتار) (المُبْهج المعرفي: شعريات أدب الرحلة).

1 (Abu Dulaf, Mis'ar b. Muhalhil al-Khazradji al-Yanbu'i) Schloezer, Kurd de. Abu Dolef Misaris Ben Mohalhal: De itinere Asiatico commentarius. Dissertatio inauguralis… Friedrich-Wilhelms-Universität, Berlin. (2), 41pp. 4to. New boards. Orig. wraps. bound in. Berlin, 1845.

2 Collection of Geographical Works by Ibn al-Faqih, Ibn Fadlan, Abu Dulaf Al-Khazraji, ed. Fuat Sezgin, Frankfurt am Main, 1987.

٣ الخطا أو الختيان: شعب او قبيلة في الصين، سندقق في الاسم في الصفحات القادمة.

٤ نعتمد على الطبعة التالية:

Cathay and the way thither, Vol. I. Second Series. No. XXXVIII, Issued For 1915

وهذه الطبعة هي نسخة بالتمام عن الأصل الصادر عام ١٨٦٦:

Cathay and the way thither, being a collection of medieval notices of China. Translated and Edited by Colonel Sir Henry Yule, R.E., C.B., K.C.S.I. Cork. Inst. France. New Edition, Reviserd Throughout in the light of recent discoveries, by Henri Cordier, D. Litt., Hon. M.R.A.S., Hon. Cor. M.R.G.S., Hon. F.R.S.L. Member of the Institut De France Professor at the Ecole Des Langues Orientales Vivantes, Paris Vol. I. Preliminary Essay on the Intercourse between China and the Western Nations Previous to the Discovery of the Cape Rout. London: Printed for the Hakluyt Society, MDCCCCXV.

ونستخدم المجلدات الأول والثاني والرابع.

5 J. Markwart : Osteuropaische und ostasiatische Streifzïige: Das Itinerar des Mis'ar ben al-Muhalhil nach der chinesischen Hauptstadt. Leipzig, 1903; pp. 74-95. reprinted Hildesheim, 1961

6 Josef Markwart (1864-1930): Osteuropäische und ostasiatische Streifzüge; ethnologische und historisch-topographische Studien zur Geschicte des 9. und 10. Jahrhunderts (ca. 840-940) von J. Marquart. Mit Unterstützung der Königl. Akademie der Wissenschaften zu Berlin (1903).

7 Gabriel Fernand : Relations de voyages et textes géographiques arabes, persans et turks relatifs à l›Extreme-Orient du 8e au 18e siècles; traduits, revus et annotés par : tome premier, Ernst Leroux Editeur, Paris 1903.

8 Jacut›s Geographisches Worterbuch aus den Handschriften zu Berlin, St.Petersburg und Paris auf Kosten der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft, hrsg. von F.Wustenfeld, Bd. 1—6. Leipzig., 1866-1873.

9 Ferdinand Wüstenfeld : Zakariya al-Qazwini, 'Aja›ib al-makhluqat, Zakarija Ben Muhammed Ben Mahmud el-Cazwini's Kosmographie II: Die Denkmäler der Länder, Göttingen, 2 vols, 1848.

10 Ferdinand Wüstenfeld : Das Geographische Wörterbuch des Abu ‹Obeid ‹Abdallah ben ‹Abd el-›Aziz el-Bekri. 2vol. Gorgias Press 1876.

11 Des Abu Dolef Mis›ar Ben el-Mohelhel Bericht Über die Türkischen Horden in der Mitte des Zehnten Jahrhunderts. Aus dem kosmographischen Werke des Zakerija Ben Muhammed el-Cazwini Übersetzt / Ferdinand Wüstenfeld. Editor: Wüstenfeld, Ferdinand Heinrich (1808–1899): Zeitschrift für Vergleichende Erdkunde (Magdeburg) 1. 1842, pp. 205-218.

12 Alfred v. Rohr-Sauer: Abu-Dulaf Mis'ar Ibn-al-Muhalhil

al-Janbu'i. Des Abu Dulaf Bericht über seine Reise nach Turkestan, China und Indien (Risala. Deutsch). Zugleich: Bonn. Dissertation (Bonner orientalist. Studien 26) (Stuttgart: Kohlhammer 1939).

13 (Abu Dulaf, Mis'ar b. Muhalhil al-Khazradji al-Yanbu'i) Bulgakov, P.G. & Khalidov, A.B. (editors). Vtoraia zapiska Abu Dulafa. Izdanie teksta, perevod, vvedenie i kommentarii P.G. Bulgakova i A.B. Khalidova. (Pamiatniki Literatury Narodov Vostoka. Teksty. Malaia Seriia. 5.) 110, (3), 77pp. Facsimiles in text. Sm. 4to. Cloth. Moskva (Izdatel'stvo Vostochnoi Literatury), 1960.

14 (ABU DULAF, Mis'ar b. Muhalhil al-Khazradji al-Yanbu'i) Minorsky, V. Abu-Dulaf Misa'r Ibn Muhalhil's Travels in Iran (circa A.D. 950). Arabic text with an English translation and commentary. 136, (1), 31pp. 4to. Buckram, 1/4 leather. Cairo (Cairo University Press), 1955.

لكن مينورسكي سبق له أن تناول الرسالة الثانية عام ١٩٥٢. انظر:

Minorsky, «La deuxieme risala d›Abu-Dulaf,» Oriens (1952) V, No. 1, pp. 23-27.

وكذلك في:

Minorsky, Two Iranian Legends — V. Minorsky, Two Iranian Legends in Abu Dulaf›s Second Risala («Archaeologica Orientalia in Memoriam Ernst Herzfeld». New York, 1952, p. 172—178.

15 G. Le Strange: The Lands of the Eastern Caliphate, Mesopotamia, Persia, and Central Asia from the Moslem conquest to the time of Timur, New York, Barnes& Noble, INC. 1905.

وقد ترجمه بشير فرنسيس وكوركيس عواد: بلدان الخلافة الشرقية، صفة العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسية الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور، كي ليسترنج، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

١٦ حدود العالم، تحقيق: منوجهر ستوده، كتابخانه طهورى، طهران ١٣٤٠ هـ/ ١٩٢١.

17 Hudud al-›Alam, The Regions of the World, A Persian Geography, 372 A.H. - 982 A.D. translated and explained by V. Minorsky, Oxford UP, London, 1937.

١٨ حدود العالم من المشرق إلى المغرب، مؤلف مجهول كتبه عام ٣٧٢هـ، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر القاهرة ١٩٩٩.

١٩ الينبرعى: هكذا ترد في طبعات الفهرست، والصحيح الينبوعي.

٢٠ البُهار: الحِمْلُ، وقيل: هو ثلثمائة رطل بالقبطية، وقيل: أَربعمائة رطل، وقيل: ستمائة رطل، وقيل: ألف رطل، وقيل البهار، بالضم، شيء يوزن به وهو ثلثمائة رطل.

٢١ الينبرغى: هكذا ترد في طبعات الفهرست، والصحيح الينبوعي.

٢٢ رواية الحسين بن يزيد السيرافي تؤكد أنه في المولتان، فقد جاء في (أخبار الهند): «إن الصنم المعروف بالمولتان – وهو بقرب المنصورة – يقصده الرجل من مسيرة ثلاثة أشهر يحمل على ظهره أفخر العود الهندي والقامروني. قال: وقامرون: بلد يكون فيه فاخر العود، ويتجشم الهندي المشقة في حمله حتى يأتي به إلى هذا الصنم فيدفعه إلى السدنة ليبخروا به الصنم، وإن هذا العود القامروني فيه ما قيمة المن منه مائتا دينار وربما ختم عليه فانطبع وقبل الختم للينه. قال: والتجار يبتاعونه من هؤلاء السدنة؛ ولما غلب المسلمون على المولتان قلعوا هذا الصنم وكسروه، فأصابوا تحته من هذا العود، فأخذوه». وهي معلومة يقولها المسعودي في مروج الذهب.

٢٣ إن تحقيقاً في أرشيف الكنيسة الكلدانية النسطورية في العراق يمكن أن يُدلّنا على حقيقة واسم هذا البطريرك (الجاثليق)، وربما اسم مبعوثه إلى الصين. لكن هذا التحقيق يخرج عن إطار البحث الحالي.

٢٤ الأَفْكَلُ، على أَفْعَل: الرَّعْدة، ولا يبنى منه فِعْل. الأَفْكَل رِعْدة تعلو الإنسان. والكلمة ترد في النصوص التدمرية بمَعنى صنف مِن الكهنة، كما لو أنه كان مأخوذا برعدة.

٢٥ نتساءل فيما إذا كان التصحيف قد صار بداهة في بعض الأسماء مثل مدينة خانفو (كانتون)، بالفاء، التي نجدها في مراجع تراثية كثيرة تحت (خانقو) أو (خانقوا) بالقاف. لا أعرف إلا الحميري في معجمه الجغرافي الذي يضع مادتين، الأولى لخانفو والأخرى لخانقو: «خانفو مدينة عظيمة في الصين على نهر عظيم أكبر من الدجلة أو نحوها يصبّ إلى بحر الصين، وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة، تدخل هذا النهر سفن البحر الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائره

بالأمتعة والجهاز، وبهذه المدينة خلائق من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس، وغيرهم من أهل الصين، وكان نزل بهذه المدينة في سنة أربع وستين ومائتين ثائر ثار على ملك الصين من غير بيت الملك....» وهذه كانتون دون شك وسنأتي إلى المتمرد الذي يشير إليه. تحت ذلك مباشرة يضع الحميري خانقو ويقول: «ومدينة خانقو هي المرقى الأعظم من مراقي الصين، وهي على جون يصعد فيه إلى كثير من بلاد البغبوغ وهو ملك الصين بأسرها لا ملك فوقه بل كل ملوك ذلك المكان تحت طاعته، والذكر له، ويقال إن بالصين ثلثمائة مدينة كلها عامرة وفيها عدة ملوك كلهم تحت طاعة البغبوغ، ويقال له ملك الملوك، وهو حسن السيرة عادل في رعيته..». أليست الخانقو بالقاف هذه هي خانفو بالفاء نفسها؟. للمزيد عن عن خانفو راجع أنسكلوبيديا الإسلام تحت مادة (khanfu):

E.J. Brill›s first encyclopaedia of Islam, 1913-1936, Volume 2 Par Martijn Theodoor Houtsma, p.900

نترك المفردتين كليهما في البحث الحالي كما وردت في المراجع التي نستشهد بها.

٢٦ ص١٠ من طبعة الرسالة الثانية الروسية المترجَمة.

27 C.E. Bosworth: The Mediaeval Islamic Underworld, Volume 2 Arabic Jargon Texts: the Qasīda Sāsāniyyas of Abū Dulaf and safī d- Dīn, Brill 1976.

٢٨ محمد عبد المنعم خفاجي: أبو دلف الخزرجي، عبقريّ من ينبع، سلسلة المكتبة الصغيرة الطبعة الأولى، ١٩٧٢.

29 Clement Huart : A History of Arabic Literatury, New York, D. Appleton and Company, 1903, p.300-301.

٣٠ الأحنف العكبري، أبو الحسن عقيل بن محمد النهشلي التميمي (ت حوالي ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م). يُوصف عن غير وجه حق بأنه من شعراء الكدية المشهورين. صدر «ديوان الأحنف العكبري، جمعه الحسن بن شهاب العكبري الحنبلي) بتحقيق سلطان بن سعد السلطان في الرياض عام ١٩٩٩.

٣١ نادر كاظم: المقامات والتلقي: بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ووزارة الثقافة في البحرين ٢٠٠٣، ص٢٥٤. وفي الاستشهاد يختلط كلام شوقي ضيف مع كلام نادر كاظم.

٣٢ المصدر أعلاه (ص٢٥٤) الذي يحدّد مجلد الأنسكوبيديا بالإنكليزية حيث نُشرت مقالة بلاشير:

The encyclopedia of Islam, London, Luzaco& Co,, 1986. v.3, p.106

٣٣ في مقدمة مريزين يقوم هذا الالتباس بقول المحقق: «حيث وجد [أبو دلف] نفسه في بلاط ملك بخارى نصر بن أحمد الساماني»ص١٠. هناك اثنان بالاسم نفسه في المراجع يتوجب التفريق بينهما.

٣٤ في طبعة مريزين أنه توفي ٩٣٨م (ص١٠)، وهذا خطأ.

٣٥ ابن العَتائقي (٦٩٩ ـ نحو ٧٩٠ هـ): عبد الرحمان بن محمد بن إبراهيم بن محمد، كمال الدين العتائقي الحلّي، المعروف بابن العتائقي.

٣٦ ج٢ من طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعه الحسين- مصر سنة ١٩١٦.

٣٧ عن كتاب الثعالبي «اللمع الفضة».

٣٨ الجَرَّارَةُ عقرب صَفْرَاءُ صَفِيرةٌ على شكل التِّبْنَة، سميت جَرَّارَةً لجَرّها ذَنَبَها، وهي من أخبث العقارب وأقتلها لمن تَلْدَغُه.

٣٩ القَصَبُ ثيابٌ، تُتَّخَذ من كَتَّان، رقاقٌ ناعمةٌ، واحدُها قَصَبيٌّ. كانت مصر تنتج نوعاً عُرف باسَم القصب الأبيض في العصر الفاطميّ.

٤٠ الخِزّ: ثياب تنسج من صوف وإبْرَيْسَم. الجمع خزوز.

٤١ الخَلَلُ بالتحريك: الفُرجةُ بين الشيئينِ؛ والجمع الخِلال. ثوب خَلْخال وهَلْهال إذا كانت فيه رِقَّة. والخِلَّة بِطانة يُغَشَّى بها جَفْن السيف تنقش بالذَهب وغيره، والجمع خِلَل وخِلال؛ والخِلُّ: خَلَّك الكساءَ على نفسك بالخِلال. المقصود ثوب رقيق شفاف.

٤٢ السقلاطون، نسيج حريري سميك وردي اللون، يصنع بالدرجة الأولى ببغداد . وكان مضرب الأمثال بجودته. وكانت ترسم عليه صور الأشجار والحيوانات.

٤٣ اسم السمور العلمي Martes zibellina :حيوان صغير من فصيلة ابن عرس يوجد في مناطق تقع بين شرقي روسيا عبر سيبريا ومنغوليا إلى هوكايدو في شمالي اليابان. يبلغ طول السمّور حوالي ٥٠سم بما فيها الذيل الذي يبلغ طوله ١٣سم. ويتراوح لون فروه بين البُني الداكن واللون المائل إلى السواد مع بقعة صفراء ضاربة إلى اللون الرمادي في باطن العُنق.

٤٤ الفنك Fennec Fox أو ثعلب الصحراء كما يعرف أحيانًا، هو أحد أنواع الثعالب الصغيرة الحجم، يعيش في الصحراء الكبرى في شمال إفريقيا وبعض أجزاء شبه الجزيرة العربية، والذي يتميّز بأذنيه الكبيرتين. و«فنك» هو اسم عربي فصيح يُطلق على عدد من الحيوانات الفروية. يُعتبر الفنك أصغر أنواع فصيلة الكلبيات جميعا. وعند العرب: الفَنَكُ جلد يلبس،

معرَّب؛ قال ابن دريد: لا أَحسبه عربيّاً، وقال كراع: الفَنَكُ دابة يُفْتَرى جلدُها أي يلبس جلدها فَرْواً.

٤٥ عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (القرن السادس): التدوين في أخبار قزوين، ضبط نصه وحقق متنه الشيخ عبد العزيز العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ج١ ص٣٦.

46 Jean Sauvaget (texte établit, traduit et commenté par): Relation de la Chine et de l'Inde, Les belles lettres, Paris 1948.